رسائل مختصرة لأمة منتصرة

الحلقة الأولى

من يحمي المصحف؟

للشيخ أيمن الظواهري (حفظه الله)



١٤٣٧

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

من يحمي المصحف؟

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

أود أن أبدأ هذه السلسلة بنظرة موجزة لأخذ العبرة مما سمي بالربيع العربي، الذي فشل في مصر وتونس واليمن، والله أعلم بمصيره في ليبيا، ولكنه عرف طريق النصر في الشام بإذن الله وتوفيقه.

واختصارًا وتيسيرًا فسأحكي لكم قصة ما حدث في مصر، لأنها تمثل النموذج الصارخ على فشل المسلمين إذا عجزوا وانحرفوا، وعلى حقيقة عداوة الصليبيين إذا طغوا وبغوا، وما يستخلص من مصر ينطبق على غيرها.

وقصة مصر لم تبدأ في الخامس والعشرين من يناير لعام ألفين وأحد عشر، ولم تنته بمجازر رابعة العدوية والنهضة والحرس الجمهوري.

القصة أقدم من هذا، القصة بدأت مع الإمام الشهيد المصلح حسن البنا رحمه الله، هذا الداعية العبقري، الذي انتشل الشباب من الملاهي والخمارات وحلقات التصوف المنحرف، ونظمهم كتائب مرتبةً تجاهد في سبيل الله.

ولكنه مع هذه الإنجازات العظيمة قد ارتكب أخطاء جسيمةً، أدت لمفاهيم فاسدة، نتجت عنها كوارث مدمرة.

فالشيخ حسن البنا –رحمه الله– بدأ حركته بإظهار التأييد للملك فؤاد، الذي لم يكن سوى حاكم فاسد، يحكم بمقتضى دستور عام ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين، وهو أول دستور علماني في تاريخ مصر بل وفي تاريخ الدساتير العربية، ثم كان فؤاد أيضًا أداة خانعة في يد الإنجليز المحتلين لمصر، وجاء من بعده –على نسقه– ولده فاروق، الذي بالغ حسن البنا –رحمه الله– في تأييده، فحين تولى الحكم أعلن الشيخ حسن البنا –رحمه الله– مبايعة الإخوان له على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفاروق لم يكن ليقبل بهذه البيعة، وإن سر بتأييد الإخوان، لأنه ملك يحكم بدستور علماني، وهو في نفس الوقت خاضع لسيطرة الإنجليز، ولم يكتف الشيخ حسن البنا –رحمه الله– بترويج هذا الوهم، بل استغرق فيه، فناداه بأمير المؤمنين، وحشد المظاهرات في كل وقت ومكان لتأييده، ولقبه بحامي المصحف، ولذا فإن أربعمئة مليون مسلم –على قول الشيخ حسن البنا– يبايعون فاروقًا على أن يموتوا بين يديه دفاعًا عن المصحف، وأن الإخوان المسلمين من أخلص جنوده، وزعمت مجلتهم أنهم

يهبونه أرواحهم، وحث الشيخ حسن البنا فاروقًا على السعي لخلافة المسلمين وزعامة العالم الإسلامي، وعقد المؤتمر العام الرابع للإخوان المسلمين لبيعته، وطالبه بأن يصدر أمرًا ملكيًا بألا يكون في مصر المسلمة إلا ما يتفق مع الإسلام، وحينئذ فإن مائة ألف شاب من الإخوان المسلمين هم الجنود على تمام الأهبة، والكتائب المعبأة، وقد طال بها أمد الانتظار.

وفي منتصف عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين حين كان فاروق متورطًا في قبض عمولات من صفقة الأسلحة الفاسدة للجيش المصري بفلسطين، وكان قد تمادى في فضائح المجون والفجور، في هذا الوقت خاطبه الشيخ حسن البنا -رحمه الله- بقوله:

"قدنا يا مولاي ما شئت، فالأمة من ورائك، والله من حولك خير حافظ وأقوى معين".

ولم يكتف الإمام الشهيد بهذه الخدعة المتعمدة، بل إنه أضاف لها خدعةً أخرى لا تقل خطورةً،

حيث تكلم كلامًا مجملًا مبهمًا عن أن مبادئ الحكم الدستوري تنطبق انطباقًا كاملًا على تعاليم الإسلام، وأن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وأن الإخوان لايعدلون به نظامًا آخر.

ولم يكتف بذلك بل بالغ في المغالطة فمدح دستور عام ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين العلماني، فزعم بأن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدةً عن النظام الإسلامي ولا غريبةً عنه، وأن واضعي الدستور المصري قد توخوا فيه ألا يصطدم أي نص من نصوصه بالقواعد الإسلامية.

وهذه مغالطة جريئة، لا تخفى على من له إلمام عام بمبادئ الحكم الإسلامي. بل إن الشهيد الإمام -رحمه الله- أقر بنفسه بعد ذلك ببطلانها.-

ولم يكتف الإمام حسن البنا بهذه المغالطة النظرية، بل أصر على أن يمضي فيها عمليًا، فيقرر المؤتمر السادس للإخوان المسلمين المشاركة في انتخابات مجلس النواب، لأنه على حد زعمهم: منبر الأمة يسمع فيه كل فكرة صالحة، ويصدر عنه كل توجيه سليم، وكأنه -في زعمهم- نسخة أخرى من سوق عكاظ أو هايد بارك أو برنامج حواري، يصيح فيه كل ناعق بما يريد ثم يمضي.

واستغراقًا في هذه المغالطات -التي تنكرت لأحكام الشرع وحقائق الواقع- يقرر حسن البنا الترشح في الانتخابات مرتين، الأولى يضغط عليه فيها رئيس الوزراء النحاس فيتنازل عن الترشيح، والثانية يصر على عدم التنازل فيسقطوه بالتزوير. فهل عرف الإخوان حقيقة بريطانيا أم الديمقراطية، وهل فهموا اللعبة، أم مازالوا مصرين على عدم الفهم؟

ثم تمضي الأيام ويكتشف الإمام الشهيد -رحمه الله- أن كل هذا عبث في عبث، ومخالفة لأحكام الشرع، فيكتب مقالًا شهيرًا بعنوان (معركة المصحف) قبل استشهاده بثمانية أشهر، يقر فيه بأن

كل ما في الدستور والقانون المصريين لا يجعل مصر دولةً إسلاميةً، وأن هذا ليس من حكم الله في شيء، بل هو خروج عليه، وأن على الأمة أن تخوض معركة المصحف ضد حكامها لتلزمهم بأحكامه.

ثم كانت نهاية الإمام الشهيد -رحمه الله- على يد من سماه حامي المصحف، فقتله الملك فاروق في فبراير من عام ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين.

فهل تبرأ أتباع حسن البنا من قاتله؟ أم سماه الأستاذ الهضيبي -رحمه الله- بالملك الكريم؟

واستمروا في منافقة فاروق، ثم تحالفوا مع عبد الناصر ضده، ثم انقلب عليهم عبد الناصر، وكان من قضاته أنور السادات، الذي حكم بالإعدام على فقيه الجماعة المستشار عبد القادر عودة ورفاقه رحمهم الله.

ثم تحالفوا مع السادات بعد موت عبد الناصر، فأفسح لهم حرية الحركة.

ولما قتل تحالفوا مع حسني مبارك قاتل كمال السنانيري، فساروا في مظاهرة النفاق من مجلس الشعب للقصر الجمهوري ليبايعوه لمدة ثانية، وتمتعوا معه بقدر كبير من الحرية، في صفقة سيئة لتنفيس غضب الشباب ومهاجمة المجاهدين، ثم انقلبوا عليه، واصطفوا وراء البرادعي مبعوث العناية الأمريكية، ولما قامت الثورة كانوا أول المساومين، فتحالفوا فورًا مع المجلس العسكري.

فهل خاضوا معركة المصحف ضد قاتليهم كما أمرهم شيخهم؟ للأسف لقد تجاهلوا أمره، واستمروا في نفس المغالطة لأحكام الشرع وحقائق الواقع.

فإذا كان شيخهم الشهيد -رحمه الله- يغالط الحقائق فيصف فاروقًا بحامي المصحف، والدستور المصري بالمتفق مع الإسلام، فإن تلاميذه لم يكتفوا بهذا، بل تمادوا بعيدًا، فتبنوا لغةً علمانية صريحةً تؤكد على الدولة الوطنية، وأعلنوا -كأي علماني لاديني- أنهم لن يحكموا بالشريعة إلا إذا حكم عليهم أغلب المصوتين بذلك، وأنهم ملتزمون بكل الاتفاقات مع أمريكا وإسرائيل، وعلى هذا خاضوا انتخابات ما بعد الثورة، التي أدت لفوز محمد مرسي برئاسة الجمهورية.

فغالطوا أنفسهم مرةً أخرى، وظنوا أنهم قد حققوا ما كانوا يتمنونه طول عمرهم، ومحمد مرسي في التوصيف الشرعي ليس إلا حاكمًا علمانيًا لدولة علمانية، لا فرق بينه في ذلك وبين حسني مبارك، وهو يقر مثله بالشرعية الدولية واتفاقات الاستسلام مع إسرائيل والشراكة مع الولايات المتحدة.

والفرق بينه وبين حسني مبارك أنه التزم أكثر منه بالديمقراطية، فأفسح الحرية للجميع، بما فيهم رموز التيار الجهادي، ولعل هذه إحدى جرائمه -التي لم تغفرها له- أمريكا ولا أذنابها.

والإخوان منذ سقوط حسني مبارك حتى اعتقال محمد مرسي لم يتخذوا أي إجراء جدي لإزالة دولة الفساد والتمكين للنظام الجديد، دعك من النظام الإسلامي، فظل نفس المجرمين في القضاء والجيش والشرطة والأمن، وهؤلاء تربوا على منهج الثعالب والذئاب، أما الإخوان فقد ربوا أنفسهم على

نظرية مزرعة الدواجن، التي يتكاثر فيها الدجاج سعيدًا بما يلقى له، متجاهلًا من حوله من اللصوص والوحوش.

وإذا كانت هذه هي قصة الإخوان، فما بالك بقصة المتسلقين المتزلفين من سلفية المباحث والريال، بل ما بالك بقصة النهضويين التنازليين هلكى عقدة الدونية، تلاميذ فقيه المارينز.

فعلينا أن نراجع المسير، ونصحح الأخطاء، لا أن نكررها، وعلى كل مسلم غيور في مصر وبلاد الربيع العربي والعالم الإسلامي وفي كل الدنيا، أن يكون أسدًا في عقيدته وسلوكه، فإن من لم يستأسد أكلته الذئاب، وعلينا أن نربي ناشئتنا تربية الأشبال لا الحملان، وأن نخوض معركتنا بكتاب يهدي وسيف ينصر، فهل وصلت الرسالة، ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

